

سيدنا أحمد يدعو ملكة بريطانيا إلى
الإسلام

وفي خطاباته إلى الحكومة البريطانية، كان
يحرص على انتقاء الكلمات الطيبة،
والأساليب التي تعبر عن الاحترام والتقدير،
خاصة عندما كتب إلى الملكة فيكتوريا
يدعوها إلى الإسلام. فهذه هي سنة
الأنبياء، وهذا هو خلق المرسلين. وكانت
هذه هي وصية الله تعالى لموسى وأخيه
هارون عليهما السلام، حينما بعثهما إلى
فرعون، إذ يقول تعالى:

﴿أذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ
قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾
(طه: ٤٤-٤٥)

وكذلك يقول تعالى في كتابه العزيز..
وصية لرسوله الكريم ﷺ ولكل المسلمين:
﴿أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:
١٢٦)

ونقتطف فيما يلي بعض العبارات التي
وجهها سيدنا أحمد ﷺ في رسالته التي
كتبها باللغة العربية أيضا إلى الملكة
فيكتوريا عام ١٨٩٣ وقال فيها:
«أيتها الملكة المكرّمة.. إنني فكرت في
نفسي في كمالاتك، فوجدت أنك
حاذقة.. يمرُّ رأيك في شعاب المعضلات
مرَّ السحاب، وتزفُّ مداركك في
الغامضات كزفِّ العُقاب، ولك يدٌ طولى
في استنباط الدقائق، ومآثرٌ عرّاء في تفتيش
الحقائق، وأنت بفضل الله من الذين يُصيبون

شواهد تاريخية تكشف كذب المفترين

بقلم: الأستاذ مصطفى ثابت

تحت سلسلة السيرة المطهرة يتناول الكاتب

سيرة حضرة ميرزا غلام أحمد

الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ

مُبرِّزًا الوقائع والأحداث الهامة

من حياة حضرته المطهرة

في الحلقة السابقة رأينا كيف أن كلا من المولويين المسلمين والمبشرين المسيحيين
استنكروا ما أعلنه الإمام المهدي عن وفاة المسيح عيسى بن مريم عليهما
السلام، مما حدا بهم إلى مناصبته العدا والعملي على التخلص منه واستعداد السلطة
الإنجليزية ضده وتحريض الحكومة عليه. وكانت الحكومة الإنجليزية قد عانت الكثير
على أيدي أتباع محمد أحمد المهدي الذي عُرف بمهدي السودان، مما دفعها إلى
التوجس شرا من سيدنا أحمد ومن جماعته، فوضعت تحت مراقبة الشرطة حين أعلن أن
الله قد بعثه إماما مهديا ومسيحا موعودا. كان لسيدنا أحمد موقف واضح تجاه نظام
الحكومة الإنجليزية لأنها قد كفلت الحرية الدينية وأقامت العدل في ربوع البلاد
ورفعت المظالم التي كان يتعرض لها المسلمون على يد السيخ والهندوس.

صدقي وسدادي، خوفاً من يوم التنادي؟ يا قيصرة، توبي توبي، واسمعي اسمعي! بَارَكَ اللهُ فِي مَالِكِ، وَكُلِّ مَا لَكَ، وَكُنْتُ مِنَ الَّذِينَ يُرْحَمُونَ. فَإِنْ ظَهَرَ كَذِبِي عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي رَاضٍ أَنْ أُقْتَلَ أَوْ أُصَلَّبَ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِي وَأَرْجُلِي، وَأُحَقَّقَ بِالَّذِينَ يُذْبَحُونَ. وَإِنْ ظَهَرَ صَدْقِي فَمَا أَسْأَلُ أَجْرًا مِنْكَ، إِلَّا رَجُوعَكَ إِلَى الَّذِي خَلَقَكَ، وَرَبِّكَ وَأَعَزَّكَ، وَأَتَاكَ كُلَّ مَا سَأَلْتُ. فَاسْمَعِي دَعْوَتِي، يَا مَلِيكَةَ الْمَمْلُوكَةِ الْعَظِيمَةِ وَقَيْصِرَةَ الْهِنْدِ، وَلَا تَكُونِي مِنَ الَّذِينَ يَشْمَسُزُّ قُلُوبُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَقِّ وَيُعْرِضُونَ.

أيتها القيصرة الكريمة الجليلة - أذهب الله أحزانك، وأطال عمرك وعمر فلذ كبدك، وعافاك وحفظك من شر الأعداء والحساد - إني كتبت هذه الوصايا خالصاً لله رحماً عليك وعلى غقبك، وأدعوك لبركات الليل وبركات النهار، وبركات الدولة وبركات المضمار.

يا مليكة الأرض.. أسلمي تسلمين. أسلمي متسعك الله إلى يوم التنادي، وسلمت وحفظت من الأعداء، وحفظت من الله الحافظون.....

أيتها المليكة! أنا أحد من المسلمين، رزقني الله عرفانه، وأعطاني نوره وضيائه ولعانه، وأظهر علي ملكوت السماوات وحببها لي، وأراني ملك الأرض وكرهه لي، قلبي وصرف عنه خيالي، فاليوم هو في أعيني كحيفة أو أنتن منها، وكذا كل زينة الحياة الدنيا والمال والبنون. وفي آخر كلامي أنصح لك يا قيصرة،

الذين يفترون. فيما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسوا حظهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهر الصدور، ويلقي فيها النور، ويرى الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نوراً وجده النبيون. ولا يلقي أنواره إلا الذين لا يريدون غلواً في الأرض ولا فساداً، ويأتونه راغبين في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتزكى أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأناز قلبي ووجدت نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بيّنة، لأدعوه خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلوني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيتها المليكة الكريمة.. قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلاً كبيراً، فأرغبي الآن في ملك الآخرة، وتوبي واقنتي لرب وحيد، لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وكبريه تكبيراً. أتخذون من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون؟ وإن كنت في شك من الإسلام فهذا أنا قائم لإراءة آيات صدقه. وهو معي في كل حالي، إذا دعوته يجيبني، وإذا ناديته يلبيني، وإذا استعنته ينصرتني، وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يضيعني. فهل لك رغبة في رؤية آياتي، وعيان

في استقراء المسالك ولا يخطئون. أنت يا مليكة، تستشقين كل جوهر نقبي، وتستبطين دقائق المغدلة بفكر دقيق وذهن ذكي، وإن لك في هذه اللياقة مآثر خلو المذاقة، مليح السياقة، ويحمدك المحمودون. فالآن قد ألقى في بالي، بعد تصوّر كمالاتك وحسن صفاتك، التي تصوّعت ريجها في العالم، أن أخبرك من أمر عظيم، ليرتفع به قدرك عند رب كريم. وما أذكره إلا بفورة إخلاصي، لأن إخلاصي قد اقتضى أن أدعوك إلى خيرك، ولا ألغي لوازيم شكرك، وإنما الأعمال بالنيات، وبصدق النية يعرف المخلصون. وما كان لمخلص أن يستشعر أمراً فيه خيرٌ مُحسِنه بل يستعرض متاعه له ولا يكون من الذين يكتُمون.

أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبتني (أي آثار عجيبي) أنك مع كمال فضلك، وعلمك وِفْرَاسَتِكَ، تُنكرين لدين الإسلام، ولا تمعين فيه بعيون التي تمعين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليل دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تترين في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي - أيدك الله - أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شغبته، فانظري إلى حبره وسبره وجنته، وكوني من الذين يرزقون منه رزقاً رعداً ويرتعون. وإن هذا الدين حقي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من

خالصاً لله.. وهو أن المسلمين عضدك الخاص، ولهم في مُلكك خصوصية تفهمينها، فانظري إلى المسلمين بنظر خاص، وأفرّي أعينهم، وألّفي بين قلوبهم، واجعلي أكثرهم من الذين يُقربون. التفضيل.. التفضيل! التخصيص.. التخصيص! وفي هذه بركات ومصالح. أرضيهم فإنك وردت أرضهم، وداريهم فإنك نزلت بدارهم، وآتاك الله مُلكهم الذي أمروا فيه قريباً من ألف سنة مما تُعدّون. فاشكري ربك وتصدّقي عليهم، فإن الله يحبّ الذين يتصدقون. المُلك لله، يؤتي من يشاء، وينزع ممن يشاء، ويطلب أيام الذين يشكرون.» (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٢٨-٥٣٦)

هذا هو أسلوب الأنبياء.. وهذه هي أخلاق المرسلين. إنهم يقولون الحق مهما كان مُراً.. ولكن بأسلوب مهذب، ويدعون إلى طريق توحيد الله تعالى مهما كان الطريق شاقاً وصعباً.. ولكن بالقول اللين وبالْحكمة والموعظة الحسنة وبالي هي أحسن. لقد كان حضرته يُخاطب الملكة فيكتوريا.. إمبراطورة بريطانيا العظمى.. الملكة التي كانت الشمس لا تغيب عن مملكته ومناطق نفوذها، ويدعوها إلى التوبة عن اتخاذ آلهة من دون الله، ويقول لها أن ترغب في مُلك الآخرة، وأن مُلك الأرض في عينه كالخيفة أو أتن منها. يدعوها لتُسلم فتسلم، ويؤكد أنه يفعل ذلك رحمة بها، وأنه لا يطلب منها أجراً على ذلك إلا رجوعها إلى الذي

خلقها ورباها.

سيدنا أحمد ينتقد تصرفات الحكومة الإنجليزية

ومع ذلك فإنه عليه السلام إذا رأى أمراً منكراً فعلته الحكومة لفت النظر إليه وانتقد ما يراه خطأ، ومن ذلك ما كتبه يقول فيه ما تعريه:

«إننا لا نعتقد بعصمتها (أي الحكومة الإنجليزية) عن الأخطاء، ولا نرى قوانينها مبنية على الحكمة، إذ الأصل في وضع قوانينها هو الجنوح إلى رأي الأكثرية، مع أنه لا يتنزل على الحكومة وحي حتى لا تخطئ في سن قوانينها. ولو كانت القوانين البشرية معصومة من الأخطاء فلماذا التبديل فيها والتجديد؟» (نور القرآن، الجزء الثاني، الخزائن الروحانية ج ٩ ص ٣٧٨)

ثم يسائل القسيسين المسيحيين ويقول ما تعريه:

«كيف يمكن لجنود هذا الدين (أي المسيحية) الاستعفاف عن الفجور والزنا وهم لا يستطيعون أن يعيشوا حياة الرهبان لأنهم يهتمون اهتماماً كبيراً للمحافظة على قوتهم البدنية، حيث يشربون الخمر.. ويأكلون لذيذ الأطعمة ونفيسها، مما يُثير شهواتهم، ويزيد في نشاطهم لتأدية واجباتهم العسكرية، كما هو مشهود في فرق الجيش البريطاني؟ فكيف يمكنهم أن يحموا أنفسهم من الزنا. تُرى هل يوجد في الإنجيل قانون يُحافظ على عفة الجنود؟ وإن كان فيه قانون أو علاج لهؤلاء العُزب فلماذا اضطرت

الحكومة الإنجليزية إلى سن القرار الثالث عشر من قوانين النظام العسكري المختص بمعسكراتها عام ١٨٨٩.. الذي يأذن للجندي البريطاني الاتصال الجنسي بالمومسات؟ حتى إن السير جورج رايت Sir George Right القائد العام للجيش البريطاني بالهند، حضّ موظفي الجيش على استجلاب أجمل الفتيات وأفتنها لزنّى الجنود البريطانيين. والواضح أنه لو كان في الإنجيل علاج لتدارك مثل هذه الضرورات، التي ألجأت الحاكم إلى اتخاذ هذه الإجراءات المخجلة، لما لجأوا إلى دفع جنودهم لهذه السبل الخبيثة، بدلاً من الطرق المشروعة.» (نور القرآن-الجزء الثاني، الخزائن الروحانية ج ٩ ص ٤٥١) وقد وصف الحكومة مرة في أحد كتبه بما نصه:

«وكلُّ عقل عندها إلا عقل الدين، ونرجو أن يفتح الله عليها هذا الباب أيضاً كما فتح أبواباً أخرى، والله أرحم الراحمين.» (نور الحق، الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص ٣٦)

أما المبشرون المسيحيون الذين كانوا يتناولون بأقلامهم على الإسلام، ويذأون بألسنتهم على أكرم الرسل وخير الأنام، ويتفاحشون في وصف كتاب الله الفرقان، فكان يحاربهم بنفس أسلحتهم، ويلذعهم بالنقد الجارح، ويلسعهم بالأوصاف التي تليق بهم وبأقوالهم وبأفعالهم، فإن ذلك من الحكمة والموعظة الحسنة التي حض عليها القرآن، فالله تعالى يقول:

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾

فلنا أن نقول ولا نخشى لائتما، أن هذه الخصلة من أجل الخصال التي ورثها غير المسلمين عن المسلمين. ألا ترون أن نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين، يوم كانوا مسلمين، لا يُفترقون بين دين ودين». إن «الندوة» وهي أكبر مدرسة دينية لمسلمي الهند - وقد تخرّج فيها كثير من المشائخ المناهضين للأحمدية مثل أبي الحسن الندوي وغيره - وضعت في مناهجها الإداري ما يلي:

«حقاً أن الندوة في معزل عن السياسة، ولكن لما كان هدفها الأساسي تخريج علماء مستنيرين، فمن واجب هؤلاء العلماء إطلاع القوم على بركات هذه الحكومة «الإنجليزية» ونشر أفكار الموالاتة والوفاء لها.» (مجلة الندوة يوليو ١٩٠٨ ج ٥)

وقد عقدت «الندوة» في الثلاثين من أغسطس/ آب لعام ١٩٠٨ بمدينة لكهنؤ حفلتها المشهورة، وذلك لغاية واحدة.. وهي الإعراب عن شكرها للحكومة البريطانية، وأبدت فيها من الأبهة والحفاوة ما أبدت، وقد نُشر كل ذلك في بيان من قبَلها على صفحات الجرائد الأردنية والإنكليزية. (راجع الصفحة الأولى من مجلة الندوة عدد أيلول/سبتمبر ١٩٠٨) كذلك نُجد على الصفحة الأولى من مجلة «الندوة» في عددها الصادر في نوفمبر/ تشرين الثاني لعام ١٩٠٨ إعلاناً تعريبيه: «لقد غطت دار العلوم للندوة اليوم بمناسبة العيد الذهبي للحكومة البريطانية، وأرسلت الندوة بريقة تهنته إلى صاحب السعادة الحاكم العام.»

السلام نظام الدولة الإنجليزية، لأنه يقوم على العدل والمساواة بين الرعية، وهو حين مدح الإنجليز لم يفعل ذلك مدهانةً ولا تملقاً، وإنما ذكر أنه يفعل ذلك لأنهم خلّصوا المسلمين في البنجاب من برائن ظلم الشيخ واضطهاد الهندوس، كما أعطونا الحرية الدينية التي كانت مسلوبه في أيام حكم الشيخ. واستشهد في ذلك بقول سيدنا محمد المصطفى ﷺ الذي قال: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». ومن المأثور عن سيدنا عليّ كرم الله وجهه أنه قال: «لو أن فرعون مصر أسدى إليّ يدًا لشكرته عليها»، والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦١)

علماء المسلمين يمدحون الحكومة البريطانية

ولم يكن سيدنا أحمد وحده الذي مدح الحكومة البريطانية، بل فعل ذلك قادة المسلمين وزعمائهم وعلمائهم في الهند وفي غيرها، وذلك بسبب عدلها وإنصافها للرعية. ومن هؤلاء كان الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا من مصر، وشمس العلماء نذير أحمد الدهلوي، ومشايع ندوة العلماء بالهند، وأبو الأعلى المودودي، والدكتور محمد إقبال الشاعر الهندي وغيرهم، وإليكم بعضاً من أقوالهم: يقول الشيخ محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية ص ١٦٥: «إن الأمة الإنجليزية هي وحدها الأمة المسيحية التي تُقدّر التسامح حق قدره.

كَأَفٍّ وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (التوبة: ٣٦)

فالحكمة تقتضي استعمال نفس أسلحة العدو وأساليبه في القتال. وقد كان رسول الله ﷺ يحض شاعره حسّان بن ثابت أن يرد على الكفار واليهود، الذين كانوا ينظمون القصائد في هجاء الرسول، والنيل من عرضه، والتهكم على القرآن، فكان يقول له: «اهجهم يا حسّان.. أيدك الله بروح القدس.»

وقد نزلت الآيات في سورة القلم التي في مطلع آياتها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ تصف المكذبين بالأسلوب الذي يليق بهم، فتقول:

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَذُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ * مِّنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيمٍ * عِثْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ * سَنَسِئُهُ عَلَىٰ الْخُرُومِ﴾ (القلم: ٩-١٧)

ومن المعروف أن هذه الآيات الشديدة اللهجة قد نزلت في الوليد بن المغيرة الذي كان يتفاحش بهجاء رسول الله والمسلمين.

ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ قد مدح الملك المسيحي.. ملك الحبشة.. وأمر المسلمين بالهجرة الأولى إلى بلاده ليعيشوا في ظله، لما عُرف عنه من العدل بين الرعية، وكفالة الحرية الدينية للجميع. ولذلك فقد مدح أيضاً سيدنا أحمد عليه

علمًا أن الحاكم البريطاني جون سكوت John Scott هو الذي وضع الحجر الأساسي لهذه الندوة بتاريخ ١٨-١١-١٩٠٨، وكان القائمون عليها يتقاضون مرتباتهم من الحكومة البريطانية.

والشاعر الهندي محمد إقبال.. وهو شاعر إسلامي عظيم في نظر مسلمي الهند، كان يتغنى بمدح الإنجليز، وقد مُنح لقب «السير» من الحكومة البريطانية. ويوم توفيت الملكة فيكتوريا رثاها في أشعاره بمرثية طويلة قال فيها ما تعريبه:

لقد رفعوا نعش الملكة..
قُم تعظيما لها يا إقبال،
وكنُ ترابًا بطريق نعشها.
أيها الشهر، شكلك مثل شكل شهر محرم،
ولا بأس لو سميناك أنت الآخر محرمًا.
يعني إقبال: لا عجب لو أطلقنا على هذا الشهر الذي توفيت فيه الملكة اسم «المحرم»، إذ أن حادث وفاة الملكة في الواقع لا يختلف كثيراً عن حادث الاستشهاد المروع لسيدنا الإمام الحسين عليه السلام حفيد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي وقع في شهر محرم.

ويستمر إقبال قائلاً:

يقولون: اليوم، يوم العيد. فهنيئاً لكم العيد،
أما نحن فالموت خير لنا من هذا العيد.
يا بلاد الهند، قد زال عنك ظل الله.
حُرمت من التي كانت تواسي وتعطف
على أهـلـك.
هذا البكاء الذي يهتر له عرش الرحمن هو
بكاء الناس إياها،
وهذه الجنازة هي جنازة التي كانت زينة

لك، يا بلاد الهند. (بقيات إقبال، ناشر: آئينة أدب، اناركلي، لاهور، باكستان، بإشراف السيد عبد الواحد معين، ماجستير (أو كسن) أما المولوي محمد حسين البطالوي - الذي كان أكبر المشايخ المعارضين لسيدنا أحمد عليه السلام - فيقول:

«لا شك أن سلطان الروم ملك مسلم، ولكننا، نحن المسلمين، لسنا أقل منهم اعتزازاً وافتخاراً بالحكومة البريطانية نظراً لحسن نظامها.. بصرف النظر عن الدين. وإن فرقة «أهل الحديث» على الأخص، لما تتمتع به من أمن وحرية من قبل هذه الحكومة، لتفتخر أمام جميع الدول الإسلامية الحالية، سواء في الروم أو في إيران أو خراسان» (مجلة إشاعة السنة، مجلد ١٠، ص ٢٩٢، ٢٩٣).
وأيضاً يقول:

«نظراً للأمن والاستقرار والحرية العامة وحسن النظام الذي تتحلى به الحكومة البريطانية، فإن فرقة أهل الحديث بالهند تعتبرها غنيمة عظيمة، وتفضل أن تكون من رعاياها بدل أن تكون من رعايا الدول الإسلامية.» (المرجع السابق)

ويقول المولوي شمس العلماء نذير أحمد الدهلوي الذي هو أستاذ للشيخ البطالوي: «من مصلحة الهند كلها أن يحكمها حاكم أجنبي، لا هو هندوسي، ولا مسلم، وإنما يجب أن يكون من أحد سلاطين الغرب، (إنه لا يخص الإنجليز فقط وإنما يقول أي واحد من أهل الغرب). ومن عناية الله العظمى أن الإنجليز تولوا الحكم.»

(مجموعة محاضرات مولانا نذير أحمد الدهلوي ط ١٨٩٠. ص ٤ و ٥) ثم يقول:

«هل هذه الحكومة قاسية ومتشددة؟ كلا، ثم كلا، بل هي أكثر عطفاً وحناناً من الوالدين.» (المرجع السابق ص ١٩) ويستمر قائلاً:

«كنت أنظر، بمنظار معلوماتي، إلى ولاية الهند عندئذ، كما كنت أجول بفكري إلى بورما، ونيبال، وأفغانستان، بل إلى فارس ومصر والعرب، فلم أجد في كل هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها أحداً أسلم إليه حكم الهند (أي في خياله)، وما رأيت فيمن يريدون السيطرة على الحكم أحداً أحق من هؤلاء. فقررت عندئذ أن الإنجليز هم أحق وأولى بحكم الهند، ويجب أن يستمر الحكم فيهم.» (المرجع السابق ص ٢٦)

أما المولوي ظفر علي خان فيقول في جريدته:

«إن المسلمين.. لا يمكن أن يسيئوا الظن بهذه الحكومة (أي الإنجليزية) حتى ولا للحظة واحدة.. ولو أن شقيًا من المسلمين تجاسر على الخروج على هذه الحكومة فإننا نقول علناً بأنه ليس مسلمًا.» (جريدة «زميندار» لاهور ١١ نوفمبر ١٩١١ م) ويقول: «نحن مستعدون لإراقة دماننا نظير كل حبة عرق تسقط من جبين ملكنا المعظم ملجأ العالم. وهذا هو حال جميع مسلمي الهند.» (نفس الجريدة، ٢٣ نوفمبر ١٩١١ م)

ثم يقول في إحدى قصائده ما معناه:

ثم هل يمكن لأحد أن يتعامى عما يوجد اليوم من تحالفات سياسية وأمنية بين بعض البلاد العربية الإسلامية وبين الإنجليز والأمريكان وما يتبعها من دمار شامل للمسلمين.

سيدنا أحمد يشرح معنى الجهاد

نعم.. لقد كتب الإمام المهدي عليه السلام، ضد أعمال القتل والاعتقال والإرهاب، التي كان يقوم بها بعض الناس، ويزعمون أنها جهاد في سبيل الله، وأوضح متى يجوز القتال، فقال بأسلوبه العربي:

«... فليعلم أن القرآن لا يأمر بحرب أحد إلا بالذين يمنعون عباد الله أن يؤمنوا به، ويدخلوا في دينه، ويُطيعوه في جميع أحكامه، ويعبدوه كما أمرُوا. والذين يقاتلون بغير الحق، ويُخرجون المؤمنين من ديارهم وأوطانهم، ويُدخلون الخلق في دينهم جبراً وقهراً، ويريدون أن يُطفتوا نور الإسلام، ويصنّون الناس من أن يُسلموا.. أولئك الذين غضب الله عليهم، ووجب على المؤمنين أن يُحاربوهم إن لم ينتهوا». (نور الحق، الجزء الأول، الخزانة الروحية ج ٨ ص ٦٢)

ولكنه يبيّن أن ذلك الوقت لم يكن وقت الجهاد الأصغر.. أي القتال وسلل السيوف، بل كان وقت الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس الذي قال تعالى عنه: ﴿كَلَّا أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠-١١)، كما أنه كان وقت الجهاد الكبير، الذي هو جهاد أعداء الإسلام بالقرآن، كما ذكر

الأول ص ٧٧ و٧٨ الهامش، الناشر مكتبة الجماعة الإسلامية المودودية، لاهور) علماً أن هؤلاء المشائخ كلهم كانوا مناهضين للأحمدية، ومع ذلك يقول أتباعهم وأولادهم اليوم: كيف يمكن أن يكون مؤسس الأحمدية صادقاً في دعواه وقد نهى عن محاربة الإنجليز.

هذا، ولا تستطيع الأسرة الحاكمة بالسعودية أن تنكر تحالفها مع الإنجليز ضد الأتراك الذين كانوا يشاركونهم نفس دين الإسلام، ولا يستطيع مسلمو سوريا وفلسطين ولبنان والعراق إنكار أنهم قاموا بالثورة ضد الحكومة التركية المسلمة، وتحالفوا مع الإنجليز لمحاربتها، ووقفوا ضد مظالم الأتراك بفضل مساعدة الإنجليز.

وهذا هو ما فعلته عائلة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية.. إذ وقفت مع الإنجليز ضد مظالم حكومة الشيخ، مع فارق كبير وعلى قدر عظيم من الأهمية، بين السعودية ومن سعى سعيها من المسلمين الذين تحالفوا مع الإنجليز، وبين عائلة مؤسس الجماعة، وهذا الفارق هو أن حكومة الشيخ لم تكن حكومة مسلمة كالحكومة التركية، فلا يمكن مساواة التحالف مع الإنجليز في الحالتين.

ومع ذلك.. فلم يحدث بتاتاً، ولو مرة واحدة، أن أيد مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية الإنجليز في مهاجمتهم أو احتلالهم لأي بلد إسلامي. ولن يستطيع أحد أن يثبت أن الأحمدية أقدمت، ولو مرة واحدة، على تأييد عدوان الإنجليز.

«انحنى رأسي بفرط الاحترام والإجلال كلما سمعتُ ذكر الملك المعظم. الجلالة نفسها تعتز به اعتزازاً، فهو ملك البر والبحر. ليتني أحظى بنظرة واحدة من جلالته». (نفس الجريدة ١٩ أكتوبر ١٩١١م) كذلك.. فإن من أكثر العلماء المتشددین والمتطرفين كان أبو الأعلى المودودي، وهو من المعروفين بعدائهم الشديد للجماعة الإسلامية الأحمدية، ومع ذلك فإنه لم يستطع إنكار أن المسلمين كانوا يتمتعون بحرية العمل بشعائرتهم الدينية، وعلى ذلك فلم تعد الهند داراً للحرب، فقال:

«كانت الهند داراً للحرب ولا شك، لما كان الإنجليز في سعيهم وراء محو السلطنة الإسلامية منها، وكان وقتئذٍ ولا شك من واجب المسلمين أن يُضحوا بأرواحهم حمايةً للدولة الإسلامية بالهند، أو أن يُهاجروا من الدولة بعد أن خُذلوا في سعيهم ذاك. وأمّا الآن.. وقد غلبوا على أنفسهم، واستتبَّ الأمر للحكومة البريطانية، ورضي المسلمون بالبقاء في ظلها، مع ما لهم من حرية العمل وفقاً لقوانينهم الدينية، فلم يعد هذا القطر داراً للحرب. وذلك لأنها ما نسخت هنا القوانين الإسلامية، فلا يُصدِّد المسلمون عن اتباع شعائرتهم الدينية، ولا يُكرهون على العمل خلافها، في حياتهم الفردية أو في معيشتهم الاجتماعية. فلا يسوغ قطعاً.. من حيث أصول القانون الإسلامي.. أن يصير بلد هذا شأنه داراً للحرب». (كتاب الربا للمودودي، الجزء

تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٣) ومن المعروف أن هذه الآية مكية، وكان الرسول ﷺ والمؤمنون يقومون بجهاد المشركين في مكة، ولكن بغير استعمال السلاح أو القتال. وقال مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية ما نصه:

«وترون كيف كثُرَ المفسدون، وقُلِّ المصلحون المواسون، وحنَّ للشريعة أن تُعدم، وأنَّ للملة أن تُكتم، وهذا بلاء قد دهم، وعناء قد هجم، وشرٌّ قد نجم، و نار أحرقت العرب والعجم. ومع ذلك ليس وقتنا وقت الجهاد، ولا زمن المرفهات الحداد، ولا أوان ضرب الأعناق والتقرين

في الأصفاذ، ولا زمان قُود أهل الضلال في السلاسل والأغلال، وإجراء أحكام القتل والاعتقال. فإن الوقت وقت غلبة الكافرين وإقبالهم، وضربت الذلة على المسلمين بأعمالهم. وكيف الجهاد ولا يُمنع أحد من الصوم والصلاة، ولا الحج والزكاة، ولا من العفة والتقاة، وما سَلَّ كافرٌ سيفًا على المسلمين ليرتدوا أو يجعلهم عَضِينَ. فمن العدل أن يُسَلَّ الحُسام بالحسام، والأقلام بالأقلام. وإنما نكي على جراحات السنان، وإنما نكي على أكاذيب اللسان، فبالأكاذيب كُذِّبت صحف الله وأُخفي أسرارها، وصيِّل على عمارة الملة وهُتَم دارها.» (عجاز المسيح، الخزان الروحانية، الجزء ١٨ ص ١٥٥-١٥٧)

لقد كان المبشرون المسيحيون في زمن المسيح الموعود عليه السلام، يتخذون من القلم سلاحا لمحاربة الإسلام، ومن اللسان وسيلة لنشر العقائد الباطلة والتهمك على القرآن، وكانوا يستعملون في ذلك كل الوسائل الشريفة. وغير الشريفة، وقد نجحوا إلى حد كبير في إيقاع المسلمين في شباكهم، حتى إن بعض علماء المسلمين من المولويين والمشائخ دخل في زمرتهم، واحتفظ هؤلاء بأسمائهم الإسلامية، وكتبوا أقدِر الكتب التي تنال من شرف وعرض رسول الله ﷺ، فكان لا بد من التصدي لهم. وقد نظم المسيح الموعود عليه السلام إحدى قصائده باللغة العربية للرد على هؤلاء فقال:

وَأَنْظُرُ إِلَى مَا بَدَأَ مِنْ أَدْرَانِهِمْ
وَيُنَجِّسُونَ الْأَرْضَ مِنْ أَوْثَانِهِمْ
وَتَعْوِذُ بِالْقُثُوسِ مِنْ شَيْطَانِهِمْ
هُمْ يَنْشُرُونَ الْفَسْقَ فِي أَوْطَانِهِمْ
كَذَّبَ عَلَى كَذْبٍ بَيَّانٍ لِسَانِهِمْ
كَمْ مِنْ جَهُولٍ صَيَّدَ مِنْ أَرْسَانِهِمْ
مِنْ غَيْرِ رِقَّتِهِمْ وَلَيْنَ لِسَانِهِمْ
مَا مَالٌ مُرْتَدًّا إِلَى أَدْيَانِهِمْ
وَاشْتَدَّ سَيْلُ الْفِتَنِ مِنْ طُغْيَانِهِمْ
قَدْ أَفْسَدَ الْآفَاقَ طُولَ زَمَانِهِمْ
رُحْمًا وَتَجَّ الْخَلْقَ مِنْ طُوقَانِهِمْ
فَسَرَتْ عَوَائِلُهُمْ إِلَى نِسْوَانِهِمْ
اغْصَمَ عِبَادُكَ مِنْ سُؤْمٍ دُخَانِهِمْ
ضَاقَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ
خَيْرَ الْوَرَى فَانْظُرْ إِلَى عُذْوَانِهِمْ
وَأَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ لِهَدْمِ مَكَانِهِمْ

أَنْظُرُ إِلَى الْمُتَنَصِّرِينَ وَذَانِهِمْ
مَنْ كُلُّ حَدَبٍ يَنْسُلُونَ تَشَدُّرًا
نَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ شَرَّ زَمَانِهِمْ
هُمْ يَغْبُثُونَ الْآدَمِيَّ كَمَثَلِهِمْ
مَكْرٌ عَلَى مَكْرٍ خَيَالٌ قُلُوبِهِمْ
وَكَمْ مِنْ سَمُومٍ هَبَّ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ
لَا يَغْلَمُ التُّوكَى دَخِيلَةَ أَمْرِهِمْ
وَاللَّهِ لَوْلَا ضَنْكُ عَيْشٍ مُثْلِقٍ
عَمَّتْ بِأَيَاهِهِمْ وَزَادَ فَسَادُهُمْ
يَا رَبِّ خُذْهُمْ مِثْلَ أَخَذِكَ مُفْسِدًا
أَدْرِكْ رَجَالًا يَا قَدِيرٌ وَنِسْوَةً
خَلَّتْ بِأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ جُنُودُهُمْ
يَا رَبِّ أَحْمَدِ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ
يَا عَوْنَنَا انصُرْ مَنْ سِوَاكَ مَلَاذُنًا
سَبُّوا نَبِيَّكَ بِالْعِنَادِ وَكَذَّبُوا
يَا رَبِّ سَحِّفْهُمْ كَسَحِّقِكَ طَاغِيًا

يَا رَبِّ مَزِفُهُمْ وَفَرَّقْ شَمْلَهُمْ
 قَدْ أَزْمَعُوا إِضْلَالَنَا وَوَيَالَنَا
 سُودٌ كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ قُلُوبُهُمْ
 فَإِذَا صَاخَبْتَهُمْ بِمَحَبَّةٍ
 وَلَقَدْ دَعَوْتُ الرَّبَّ عِنْدَ تَنَاضُلِي
 يَا مُسْتَعَانِي لَيْسَ ذُونِكَ مَلْجَأِي
 وَاللَّهِ إِنَّ حَيَاةَ عَيْسَى حَيَّةٌ
 جَعَلَ الْمُهَيْمِنُ حِكْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ
 كَيْفَ الْحَيَاةُ وَقَدْ تُؤَمِّي مِثْلَهُ
 هَلْ عَادَرَ الْحَتْفُ الْمَفَاجِيءُ مُرْسَلًا
 أَتَغِيظُ رَبِّكَ لِابْنِ مَرْيَمَ حَشْنَةً
 يَا رَبِّ أَرْنِي يَوْمَ كَسَرِ صَلَيبِهِمْ
 وَلَقَدْ أَمَرْتُ مِنَ الْمُهَيْمِنِ بَعْدَ مَا
 مَا قُلْتُ بَلْ قَالَ الْمُهَيْمِنُ هَكَذَا
 طَوْرًا أُحَارِبُ بِالسَّهَامِ وَتَارَةً
 وَسَيُرْغَمُ اللَّهُ الْقَدِيرُ أَنْوَفَهُمْ
 الْيَوْمَ قَدْ فَرِحُوا بِرِجْسِ تَنْصُرٍ
 ظَهَرَتْ كَأَثَرِ السَّمِّ ثَوْرُهُ وَعَظْمُهُمْ
 فَكَأَنَّ أَبْوَابَ الْمَكَائِدِ كُلِّهَا
 إِنَّ الصَّلِيبَ سَيُكْسَرُنَّ وَيُدَقَّقُنَّ
 سُمَّ مُبِيدٍ مُّهِلِكَ فِي لَبَنِهِمْ
 فَإِذَا بَدَيْتُكَ عِنْدَ رُؤْيَا وَجْهِهِمْ
 الْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ خُبْرِهِمْ
 أَنْزِلْ جُنُودَكَ يَا قَدِيرُ لِنَصْرِنَا
 يَا رَبِّ قَدْ بَلَغَ الْقُلُوبُ حَنَاجِرًا
 إِنَّ الْقُلُوبَ مِنَ الْكُرُوبِ تَقَطَّعَتْ
 وَدَعَّ الْعِدَا جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُهُمْ

يَا رَبِّ قَوِّدْهُمْ إِلَى دَوَابِّهِمْ
 فَأَضْرِبْ مَكَائِدَهُمْ عَلَى أَيْدَانِهِمْ
 وَالخَلْقُ مَخْذُوعُونَ مِّنْ لَمَعَانِهِمْ
 فَتَنَا بِيَدَيْكَ عِنْدَ اسْتِحْسَانِهِمْ
 وَاللَّهُ تُرْسِي عِنْدَ ضَرْبِ سِنَانِهِمْ
 فَأَنْصُرْ وَأَيْدِنَا لِهَدْمِ قَنَابَانِهِمْ
 تَسْعَى لِتُهْلِكَ كُلَّ مَنْ فِي خَانِهِمْ
 فِي مَوْتِ عَيْسَى قَطَعَ عِرْقِ جِرَانِهِمْ
 حَزْبٌ وَخَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ زَمَانِهِمْ
 أَمْ هَلْ سَمِعْتَ الْحَيَّ مِنْ أَفْرَانِهِمْ
 وَتَحِيدُ عَنْ مَوَالِي إِلَى إِنْسَانِهِمْ
 يَا رَبِّ سَلِّطْني عَلَى جُودَانِهِمْ
 هَاجَتْ دُخَانُ الْفِتَنِ مِنْ نِيرَانِهِمْ
 مَا جِئْتُهُمْ بَلْ جَاءَ وَوَقْتُ هَوَانِهِمْ
 أَهْـسَوِي بِأَسْيَافٍ إِلَى إِنْخَانِهِمْ
 وَيُرِي الْمُهَيْمِنُ ذُلَّ دَاءِ خُنَانِهِمْ
 وَالْحَقُّ لَا يُخْطِئُ إِلَى آذَانِهِمْ
 رَحَلَتْ تُقَاةُ الخَلْقِ مِنْ إِذْجَانِهِمْ
 فُتِحَتْ لِفِتْنَتِنَا عَلَى رُهْبَانِهِمْ
 جَاءَ الْجِيَادُ وَزَهَقَ وَقْتُ أَتَانِهِمْ
 مَكْرٌ مُّضِلُّ الخَلْقِ فِي هَدَجَانِهِمْ
 وَأَفْنَعُ بِشَوْكَ مَنْ جَنَى بُسْتَانِهِمْ
 فَاصْبِرْ وَلَا تَجْنَحْ إِلَى تَهْتَانِهِمْ
 إِنَّا لَقَيْنَا الْمَوْتَ مِنْ لُقْيَانِهِمْ
 يَا رَبِّ نَجِّ الخَلْقَ مِنْ تُغْبَانِهِمْ
 فَارْحَمْ وَخَلِّصْ رُوحَنَا مِنْ جَانِهِمْ
 وَاشْفِ الْقُلُوبَ بِخَزِيهِمْ وَهَوَانِهِمْ

(نور الحق، الجزء الأول، الخزانة الروحانية ج ٨ ص ١٢٣ - ١٣١)